دور المرأة المسلمة في نشر الثقافة العربية في شمال نيجيريا ولاية كنو نموجاا ن عهد الش يخ عثمان ب فودي الى يوننا هذا

آمنة ودا تابع

المقدمة

الحمد لله الذي جعل اللغة العربية أفضل اللغات وأقدسها حيث أنزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام على أفضل من نطق بالضاد سيدنا محمد العربي الأمين سيد العرب والعجم أجمعين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن التاريخ لا ينسى أبدا الدور الذي لعبته المرأة وما زالت تقوم به حول تدريب الناشئين على نلقين اللغة منذ طفولتهم إلى مرحلة رشدهم في كل مجتمع من مجتمعات هذه المعمورة سواء قبل ظهور الإسلام وبعده، ولهذا سميت اللغة الأولى التي يتعلمها الطفل بلغة الأم، وعلى هذا فإن للمرأة دورها الإيجابي في بناء الثقافة والمهارة اللغوية قديما وحديثا.

وانطلاقا من هذه الأضواء تسعى هذه المقالة إلى دراسة متواضعة حول دور المرأة المسلمة في نشر الثقافة العربية في ماال نيجيريا ولاية كنو مووججا. وقداختارت الطالبة مدينة كنو كنموجج للدراسة جلك لما تتمتع به المدينة من سعة الحضارة والثقافة العربية من كثرة سكانها وغزلرة مدارسها العربية على اختلاف مستوياتها من ابتدائية وثانوية ومعاهد وجامعات، حكومية كانت أوخاصة.

وبناءا على هذا فإن هذه الدراسة تهدف إلى الكشف عن بعض ما تتميز به مدينة كنو من ميزات ثقافية عربية، وما للسيدات المسلمات فيها من مساهمات في هذا الميدان. وستسير الدراسة على درب المنهج الوصفي من أجل إبراز حقائق علمية عربية يرجا أن تصبح من السجل التاريخي للتراث الثقافي العربي.

وتحتوي المقالة على أربعة محاور، فالمحور الأول يشتمل على نبذة تاريخية عن مدينة كنو، أما المحور الثاني فيحتوى على حالة اللغة العربية قبل عهد الشيخ عثمان بن فودي، وأما المحور الثالث فسيتناول حالة العربية إبان عهد الشيخ عثمان بن فودي ودور المرأة في نشرها، أما المحور الأخير فسيدور حول دور المرأة في نشر الثقافة العربية في اللحظة الراهنة، ويلي جلك نتائج الدراسة والخاتمة وقائمة المصادر والمراجع.

المحور الأول
نبذة تاريخية عن ولاية كنو

إجا كانت جمهورية نيجيريا عبارة عن د ولة كبيرة في غرب إفريقيا الثمراء فإن ولاية كنو تعتبر هي كبرى المدن في ماال نيجيريا، ويعود تاريخ تأسيسها إلى القرن العاشر الميلادي، ولكنها قد نالت شهرتها وازدهارها كمركز تجاري هام في خلال القرن الخامس عشر الميلادي، وكان أهلها من أول أمرهم يعبدون صنما يعرف باسم "ثمبربرا" TSUMBURBURA تحت رئاسة رئيس رهبان القوم المسمى باسم بربوشِي BARBUSHE، وما زالوا على تلك الحالة حتى جاءت جماعة بقيادة قائدهم يسمى بغودا BAGAUDA فاستولى على المكان وأصبح ملكا على القوم وأزال عبادة جلك الصنم،وبعد وفاته خلفه أولاده في قيادة المملكة واحدا بعد الآخر حتى إلى وقت قيام حركة الشيخ عثمان بن فودي مما أدى إلى الإطاحة بنظام حكمهم وجلك في مستهل القرن

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

التاسع عشر الميلادي.(١)

وقد شهدت المدينة حركات سياسية ودينية واجتماعية وثقافية واقتصادية على حالة من التطور والتقدم عبر العصور إلى أن صارت إلى ما صارت إليه الآن كأكبر مركز ثقافي وتجاري في ماال نيجيريا.

المحور الثاني
اللغة العربية قبل عهد الشيخ عثمان بن فودي

وبديهي أن الإسلام أينما وضع قدمية وضعت معه اللغة العربية لأنها لغة رسمية له، ومنذ أن وصل الإسلام إلى بلاد المغرب العربي كتونس والجزائر والمغرب وغيرها اتخذ سبيله لينتشر في البلاد الواقعة جنوب الصحراء الكبرى كمملكة كانم) برنو (وممالك بلاد هوسا التي من بينها مملكه كنو ومملكة كثنه ومملكة سكتو ومملكة زكزك وغ يرها، وقد كان للتجار العرب الدور الأول والأساسي في نشر الإسلام لهذه الممالك، وكانوا بطبيعة الحال إجا وصلوا إليها يقومون بحركاتهم التجارية من بيع وشراء فيبعون السيوف والرماح والملابس الصوفية والحريرية وغيرها، وبمقابل هذا يشترون ريش النعام والعاج والعبيد وغير جلك ليعودوا بها إلى بلادهم، وأثناء هذه ا لحركات التجارية يقومون أيضا بممارسة الشعائر الدينية كالصلاة والصوم وتلاوة القرآن، وعقد مجالس الوعظ والذكر، وإعطاء الهدايا والصدقات، وممارسة حفلات الأعياد الدينية كعيد الفطر والأضحى وغير جلك من معالم الدين الإسلامي، وكل هذا وجاك قد أثر تأثيرا كبيرا في نفوس أهالي بلاد ه وسا مما هداهم إلى اعتناق الإسلام، ثم بدأوا يتعلمون تعاليمه شئيا فشيئا، ونييجة لذلك بدأت العربية تتسرب إلى أجهانهم تدريجيا،فاستعملوا كثيرا من الكلمات العربية في لغاتهم المحلية من نحو: الحرير والزعفران والسرج والكعك والقلم واللوح والصلاة والزكاة والسياسة، وما شاء الله وتبارك الله وغير جك.

ولا شك أن هذا التطور الجديد قد ترك آثاره المثمرة أسهمت في رسوخ الدين الإسلامي لدى أمة هوسا ووضع اللبنات الأولى لانتشار اللغة العربية فيهم.

هذا، ومما يستحق الذكر في هذا الموقف أن دور التجار العرب ليس هو الوحيد ساهم في نشر الإسلام وثقافة اللغة العربية في تلك البلاد بل فإن للعلماء الدعاة دورهم في هذه الخدمة الطبيعة، إج لا ينسى التاريخ الدور الذي قدمه الوفد الونغراوي بقيادة عبد الرحمن الزيتي الذين وفدوا إلى مدينة كنو في عهد مدكها عَليُّ يَاج، فقد كان لزيارتهم آثر كبير في نشر الإسلام ودراسات اللغة العربية. ولا يفوتنا الحظ بذكر دور الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأتباعه الذين زاروا مدينة كنو في عهد ملك محمد رمْفَا، فقد استطاع هذا العالم بسعة باعه وطول جارعه على تحويل قيادة المملكة إلى دولة إسلامية مبنية على أسس إسلامية سليمة، كما استفاد منه علماء المدينة، وبهذا ازداد انتشار الإسلام وتعاليمه وثقافة اللغة العربية في المدينة وعكف الناس على دراستها رجالا ونساء في كل أرجاء المملكة.

هذا، ولما كانت اللغة الإنسانية ماهي إلا اكتساب ومحاكات يحتذي بها الصغار من الكبار فبالطبيعة قامت النساء بدورهن في تلقين الأبناء هذه الكلمات العربية الجديدة التي أصبحت كجزء من مفردات لغة هوسا. ولهذا يمكن القول بأن هذه المحاولات قد تعد بمثابة لمسات تمهيدية أولية لدور المرأة المسلمة في تدريب الناشئين على فهم اللغة العربية وإن لم تبلغ حد النمو والتطور.

المحور الثالث
اللغة العربية في عهد الشيخ عثمان ودور المرأة في نشرها

لقد بدأ ب زوغ ماس الحركة الإصلاحية لدى عثمان بن فودي عندما ناهز عشرين من عمره، فلاحظ فساد البيئة الاجتماعية إج بدأت الوثنيات تعود من جديد بعد زوالها وأخذ الناس يبتعدون عن منابع عقيدتهم الصافية والسنن النبوية الطبية ومالوا نحو العادات الجاهلية وال وثنية حتى لم يبق لهم من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه، وصار القادة والأمراء طغاة وجبابرة، وفي ظل هذا الظلام الدامس الذي يعيش فيه الشعب ظهر الشيخ عثمان بن فودي فنهض بكل ما أ وتي من الطاقة فأخذ يدرس الناس الدين واللغة ويرشدهم إلى مصالح دينهم وأخراهم وما زال ينتقل من مكان إلى مكان حتى اشتهر أمره وكثرت جماعته وأتباعه وأنصاره وساروا وراء لوائه في السراء والضراء حتى صار النصر حليفهم وأسسوا دولة إسلامية محضة تضم جميع ربوع ماال نيجيريا.

فلما قامت الدولة على ساقها وقويت دعائمها هب أنصار الحركة الإصلاحية نحو نشر الدين الإسلامي وثقافة اللغة العربية لأنها لغة الدين والثقافة، فإجا كان عبد الله بن فودي أخو عثمان بن فودي

قطبا من أقطاب الحركة التجديدية نظرا لما قدمه من دور التوجيه والإرشاد وتأليف الكتب الدينية واللغوية النفيسة، فلا شك أن سيدتنا نانا أسماء بنت الشيخ عثمان تعتبر أعجوبة جلك الزمن لكثرة ما قامت به من الأعمال الجليلة، إج علمت النساء أمور الدين ودروس الثقافة العربية وألفت كتبا في ميادين العلم، وكانت تكتب بالعربية وهوسا والفلانية)٢(مما يدل على أن المرأة المسلمة في نيجيريا قد كانت ولا تزال تأخذ نصيبا وافرا في مجال العلم منذ جلك الحين إلى يومنا هذا.

ومن إنتاجات السيدة نانا أسماء قولها في رثاء صديقتها عائشة:

إلى الله أشكو من صنوف البلابل
ثوت في سويداء لقلبي داخ ل
لفقد شيوخ قادة الدين سادة
وإخواننا أخدان خير ونائ ل
وجكرني موت الحبيبة من مضى
من الأخوات الصالحات العقائل
من الصالحات القانتات لربهم
من الحافظات الغيب جات النوافل
فزادت همومي وانفرادي ووحشتي
وسكب دموع فوق خدي هواطل
لفقدي لعائشة الكريمة يالها
من امرأة حازت صنوف الفضائل(٣)

وليست نانا أسماء هي الوحيدة لها مثل هذه الأدوار العلمية والثقافية العربية فحسب،بل نجد مثل هذا عند السيدة مريم أخت نانا أسماء، إج نسمعها تقول إثر انتصار الشيخ على الأعداء وهي تشكر الله:

نحم د الله ربن ا قام ع الكفر والظلم
هازم الكفر ماح يا ظلمة الجهل إج دجم
ف رباو الذي طغ ى وت ولى م ع الخ دم
إج لقي أسد شيخنا ضاربات على البه م

وبهذه الصورة المختصرة يتجلى أمامنا ما للمرأة المسلمة من محاولة القيام بدورهن في نشر الوعي الثقافي العربي آنذاك.

المحور الرابع
دور المرأة المسلمة في نشر الثقافية العربية في اللحظة الراهنة

ومع كل ما عانت به اللغة العربية من ويلات الغذاب على يد الاحتلال البريطاني منذ عام ٠٢١٣م إلى سنة الاسقتلال ٠٢٩١م في ماال نيجيريا، إلا أن الله سبحانه وتعالى قد كتب لها البقاء وأعطاها الحصن وال رصين ضد العدوان الخارخي ومما تجدر الإشارة إليه أن العربية بعد الاسنقلال أخذ ينمو ويتطور شأنها نتيجة إدخال إصلاحات في مناهجها التعلمية واحترام علمائها والتخطيط المنظم لإدارة شؤونها وقد جاء هذا التطور بدور رجال السياسة الذين تعالت أصواتهم تجاه الحكومة ل وضع حد عن مأساة اللغة العربية، وبهذا أسست المدارس على اختلاف مستوياتها من ابتدأئية وثانوية وكلية وجامعات، فنالت اللغة العربية جانبا كبيرا من حقوقها فيها وأخذ الناس رجالا ونساء يدرسونها فزاد انتشارها في كل ناحية من نواحي ماال نيجيريا.

وبعد أن نال العديد من السيدات بقسط وافر من الدراسات الإسلامية واللغة العربية نهضن بدورهن في نشر ثقافة اللغة العربية عن طريق الانخراط في تد ريس اللغة العربية بين مؤسسات تعلمية، وقمن كذلك بتأسيس المدارس العربية الخاصة غير تابعة للحكومة.

ففي ولاية كنو على سبيل المثال نجد المرحومة السيدة عائشة ليمو التي هي من أصل جنسية بريطانيا لكنها وفدت إلى مدينة كنو سنة ٠٢٩٩م، وقد أسلمت قبل جلك فى لندن سنة ٠٢٩٠م، وقد درست الدرسات الإسلامية واللغة العربية في كنو كما قامت بتعليم اللغة العربية فيها.

ومن السيدات ايضا السيدة الدكتور زهراء محمد عمر نائبة قائد هيئة الحسبة في ولاية كنو التي هي الأخرى لها مساهماتها في نشر الوعي الثقافي العربي فضلا عن علمها في هيئة الحسبة وتفسير القرآن أيام رمضان. ومن السيدات أيضا الأستاجة الدكتورة فاطمة بتول مختار وهي ممن يقمن بما يستحق الإشارة إليه بالبنان في خدمة الدين والثقافة العربية، ولها اليد الطولى في تأسيس تلك المؤسسة التعليمية الشهيرة المسمى بـ "الحديبية" التي تنتج العديد من السيدات. وكذلك نطلع على مثل هذه المساهمات المثمرة في هذا المجال لدي كل من السيدة فاطمة محمد غَمّبو شيخو دوراوا والسيدة فاطمة محمد فغى والسيد عائشة منير متولي وغيرهن ممن لا يحصى عددهن في الولاية اللائي أسسن المدارس الإسلامية والعربية ويقمن كذالك بتأليف كتب اللغة العربية تسنفاد بها في المدارس.

ومن جانب آخر نعثر على دور النساء في نشر الثقافة العربية عن طريق إعداد البرامج الإجاعية باللغة العربية كما في برنامج إجاعي باللغة العربية تقوم به زينب وعائشة في إجاعة الحرية (FREEDOM RADIO) ويستضاف في البرنامج بعض

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

الأساتذة للمناقشة حول القضايا جات الصلة بالدين أو بالثقافة العربية، وغير جلك من البرامج التى تبث عبر الإجاعات الموجودة في الولاية.

وهكذا نجد مثل هذه الأدوار لدى السيدة حليمة كبير في عاصمة أبوجا،والسيدة مرضية عباس في مدينة زاريا، والسيدة آمنة موسى سكبا في سكتو، وغيرهن في ولايات ماال نيجيريا، وجميعهن يقمن بما يطلق عليه في مجال التربية بعملية الاستقبال ثم التغذية الراجعة تجاه الثقافة العربية.

نتائج البحث

- تكتظ مدينة كنو بعديد من المؤسسات والمراكز الثقافية العربية التي تعمل على نشر الوعي الثقافي العربي وعلوم الدين الإسلامي.
- إن للمرأة المسلمة دورها البناء في نشر الثقافة العربية قديما وحديثا سواء في ماال نيجيريا عامة وفي مدينة كنو خاصة حسب ما أوردته البحوث التاريخية والدراسات الميدانية.

الخاتمة

إن دور المرأة في نشر الثقافة العربية في ماال نيجيريا قد بدأ منذ وصول الإسلام إلى المنطقة إلا أن هذا الدور قد كان في لمساته الأولية وفي حدود ضيقه، ولكن بعد ظهور الحركة الإصلاحية الفودية شاركت المرأة الرجال في خدمة الدين ونشر الثقافة العربية ولا شك أن السيدة نانا أسماء وأختها مريم لمن أعجوبة جلك الزمن. وبعد أن نالت نيجيريا استقالالها من الاحتلال البريطاني وجدت اللغة العربية الاهتمام البالغ من قبل القادة السياسسين مما فتح المجال أمام الناس لدراستها فقامت السيدات يأخذن بنصيبهن منها ثم نهضن بعد جلك بنشرها عن طريق التدريس وتأسيس المدارس الإسلامية والعربية، ومن السيدات اللواتي يقمن بهذا الدور الأستاجة الدكتورة فاطمة بتول مختار، والدكتورة زهراء محمد عمر وسودة عبد القادر وغيرهن فجزا هن الله خير جزائه.

المصادر والمراجع

- أبوبكر، أمين الدين (الدكتور: المجاهد الكبير في غرب إفريقيا الشيخ عثمان بن فودي. كنو: جماعة الدعوة، سنة ٠٢٢٩.
- الإلوري، آدم عبد الله: الإسلام في نيجيريا. الطبعة الثالثة: سنة ٠٢٩١م. - غلادنثى، شيخو أحمد سعيد: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا. الطبعة الثانية؛ سنة ٠٢٢٣م.
- أبوبكر، علي (لدكتور: الثقافة العربية في نيجيريا. بيروت، سنة ٠٢٩٩م.
- مؤنس، حسين (الدكتور:الإسلام الفاتح. مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامى.

المقابلة

- السيدة أم كلثوم قاسم، الم وظفة في هيئة الحسبة بولاية كنو، يوم ٠١-١٠-٩١٠٢م
- السيدة فاطمة أحمد ظكو، ناظرة مدرسة الروضة وتحفيظ القرآن،في مسجد م رتضى بولاية كنو وموظفة في الهيئة الحسبة بولاية كنو، يوم ٠٢-١٠-٩١٠٢م

الهوامش

١- (الدكتور شيخو أحمد سعيد غلادنثي،حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا،)الطبعة الثانية؛ المكتبة الإفريقية،سنة ٠٢٢٣(ص: ٣٢
٢- (أمين الدين أبوبكر، المجاهد الكبير في غرب إفريقيا الشيخ عثمان بن فودي،)كنوا: جماعة الدعوة، سنة ٠٢٢٩(ص: ٩٢
٣- (الدكتور أحمد سعيد غلادنثى حركة اللغة العبية وآدابها في نيجيريا،)الطبعة الثانية المكبة الإفريقية، سنة ٠٢٢٣م(ص: ٣٢